المعتقلات الإيطالية في ليبيا وأثـــــرها على المجتمع الليبي

د. فتحي المبروك إبراهيـــــــم ـ كلية التربية ككلة ـ جامعة غريان .
د. أحمد مسعود عبد الله ـــ كلية الآداب والعلوم بدر ـ جامعة الزنتان.

المقدمـــــــــــة:

تُعدُّ المعتقلات الإيطالية الفاشية في ليبيا من صفحات تاريخنا المُؤلم، وستظل في ذاكرة هذا الشعب رجالًا ونساءً وأطفالًا، ولا يمكن أن ننساها مهما طال الزمن، حيث قام الاستعمار الإيطالي بترحيل أبناء الشعب الليبي إلى داخل المعتقلات في مختلف المناطق، من أجل أن يُرهب هذا الشعب ويقضي على حركة المقاومة، حيث كانت إيطاليا تحلم بإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة، وقد قاوم هذا الشعب القوة الإيطالية وكبدها أشد الهزائم إثر المعارك المختلفة مثل معركة شارع الشط والهاني والقرضابية وغيرها، ومن تمَّ تحوَّلتِ المقاومة إلى منطقة برقة وبسبب شدة هذه المقاومة وحسن قيادة عمر المختار للمجاهدين؛ وبسبب الظروف الطبيعية للجبل الأخضر وطبيعة سكانه ووقوفهم خلف حركة الجهاد وأصبحوا سندًا لها ومصدرًا لإمداده المُستمر بكل ما تحتاج إليه من معلوماتٍ وسلاحٍ وغذاءٍ، وقد أدركتِ القيادة الإيطالية هذه الحقيقة، وأنَّ هذه القلَّة من المجاهدين المتحركة على سفوح الجبل وفي منعطفاته وبين أشجاره والتي أرهقتهم هجماتهم السريعة الخاطفة على معسكراتهم خلال الفترة من (1922 – 1932م)، وأنَّ هذه القوة تعوض ما تفقده من رجالها وتستمد ما تحتاج إليه من سلاح وذخيرة ومُؤن وغيرها من الأهالي؛ لذلك عملت إيطاليا على فصل السكان عن المجاهدين فنقلت السكان من مدنهم وقراهم إلى المعتقلات ومنعتهم من الاتصال بالمجاهدين، ولا نذكر أنَّ هناك شعبًا سجن أغلبية سكانه إلا الشعب الليبي من أجل القبول بالاحتلال وعدم المقاومة، وقد لجأت إيطاليا بعد فشلها عسكريًا إلى العمل السياسي مثل النفي والمعتقلات، وغيرها من أساليب الاستعمار الإيطالي البغيضة، وهذه الإجراءات منافية للنظم والأخلاق الإنسانية والقوانين الدولية التي تحرم هذه الأعمال.

وترجع فكرة تكوين المعتقلات إلى القائد الإيطالي (بادوليو)، الذي كان قائد القوة المسلحة الإيطالية ورئيس أركانها، بعدها عُين حاكمًا لليبيا عام 1929م[1].

وقد أرسل إلى غرتسياني قائلًا: (لقد أشرتم سعادتكم إلى هذا المُخطط بالمصادفة عندما أخطرتموني بقراركم ترحيل أحد القبائل المشتبه بتآمرها ضدنا إلى ناحية طلميثة، والذي

يجب عمله قبل كل شيء هو تكوين فاصل أرضي كبير ومحدود بين تشكيلات المجاهدين وبين الأهالي الذين وصفهم بالمستسلمين، ويجب المضي في هذا الطريق، ولو اقتضى ذلك قطع دابر جميع سكان برقة، وعليه يجب تجميع السكان المستسلمين في مكان ضيق بحيث يمكن مراقبتهم مراقبة فعَّالة بحيث يكون هناك فراغ يراعى بمنتهى الدقة بينهم وبين المجاهدين)[2]، وهكذا أُقيمت المعتقلات وأهمها معتقل العقيلة والبريقة والمقرون وسلوق، ورُغم غطرسة وجبروت القوات الإيطالية بهدف القضاء على هذا الشعب، إلَّا أنَّه تحداها ولم تتمكن من هزيمته بسهولة، حيث فقدتِ العديد من جنودها قتلى في مختلف أنحاء ليبيا، بالإضافة إلى الخسارة المادية والمعنوية التي لحق بها.

أسباب اختيار الموضوع:

1 ـ إثـــــراء المكتبة العربية لزيادة المعرفة.

2 ـ التعرُّف على هذه المعتقلات وأثـــــرها على المجتمع الليبي.

منطقة الدراسة:

الحدود الجغرافية وتشمل ليبيا

الحدود الزمنية (1911-1936م)

أهمية الدراســـــة:

1 ـ توضيح دور هذه المعتقلات في إضعاف حركة المقاومة ضد الطليان.

2 ـ التبصير بالحياة في تلك المعتقلات.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

كل ما تعاون المجاهدين مع الأهالي قويت حركتِ المقاومة، وعندما ينقطع هذا الاتصال تضعف حركة المقاومة.

تساؤلات الدراسة:

س1ـ ما أهم المعتقلات في ليبيا؟ وما الهدف من إقامتها؟

س2 ـ كيف كانت الحياة داخل تلك المعتقلات؟ وما أثارها؟

منهج الدراسة:

اتبعتِ الدراسة المنهج التحليلي التاريخي المُتمثِّل في جمع المادة وتحليلها للوصل إلى نتائج حقيقية.

الغـــــزو الإيطالي لليبيا: بعد إتمام إيطاليا وحدتها عام 1870م اتجهت إلى التوُّسع الاستعماري بهدف إعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة وعاصمتها روما، وكانت قُدرات إيطاليا محدودة فقد أضاعت فرصة احتلال تونس، حيث سبقتها فرنسا

واحتلتها عام 1881م، وأرادت تعويض ذلك بإقامة مستعمرات في شرق أفريقيا، ولكنها هُزمت هزيمةً نكراء في معركة عدوة الشهيرة عام 1896م.

بعدها تحوَّلت أطماع إيطاليا إلى ليبيا الولاية العثمانية الباقية في شمال أفريقيا، وقد مهَّدت لذلك على النحو التالي:

1 ـ فتح فرعين لبنك روما في كل من طرابلس وبنغازي.

2 ـ فتحتِ الكثير من المدارس الإيطالية في ليبيا لنشر اللغة الإيطالية وثقافتها.

3 ـ فتحت بعض المستشفيات لمعالجة المرضى لكسب ود الشعب الليبي.

4 ـ قام ضباط البحرية الإيطالية بارتداء ملابس صيادي الأسماك، بقصد قياس عمق الشواطئ والحصول على معلومات بحرية تفيد عند الغزو الإيطالي لليبيا.

وبعد حصول إيطاليا على موافقة الدول الأوروبية والسماح لها بغزو ليبيا، كلف الجنرال (كانيفا) بقيادة الحملة المكونة من 35 ألف جندي و72 مدفعًا [3] .

وفي شهر أكتوبر 1911م نزلت إيطاليا بقواتها على الشواطئ الليبية، وتصدى لها الشعب الليبي العازل بكل شجاعة في مختلف المناطق في كثير من المعارك، مثل معركة الهاني وشارع الشط وأبي مليانة وغيرها.

وبعد توقيع معاهدة أوشي لوزان خرجت تركيا من ليبيا، وبقي الشعب الليبي وحيدًا أعزل في مقاومة إيطاليا، ورُغم ذلك لم تستطع إيطاليا الانتصار عليه ووجدت مقاومة عنيفة، وإنَّ غزو ليبيا ليس نزهةً بحرية كما قالوا، وعندما شاركت إيطاليا في الحرب العالمية الأولى عام ،1914 وسحبت بعضًا من قواتها انتصر عليها المجاهدون في معركة القرضابية 1915/4/28م[4]، وأصبحتِ القوة الإيطالية محصورة في منطقتي طرابلس والخمس، وخرجت إيطاليا ضعيفة من هذه الحرب ولم تستطع مواجهة المقاومة ولذلك لجأت إلى سياسة المُماطلة، وعقدت سلسلة من المعاهدات مع الشعب الليبي بقصد كسب الوقت من عام(1917- 1922) [5].

ففي عام 1922 توَّلى الحكم في إيطاليا الحزب الفاشي بقيادة موسيوليني الذي استعمل سياسة التوَّسع الاستعماري، وعين غرتسياني قائدًا للقوة الإيطالية في ليبيا الذي استعمل سياسة القوة والعنف ضد المجاهدين، ويقول: إنَّ الذين ليسوا معنا هم ضدنا [6]، ورُغم هذه السياسة لم تتوقف حركة المقاومة واستمرت في غرب وجنوب ليبيا حتى تمكَّنت القوة الإيطالية من احتلال مدينة غات يوم 1930/2/25.

ثم اختار بادوليو حاكم ليبيا (غرتسياني) بمهمة جديدة، وهي القضاء على حركة المقاومة بقيادة عمر المختار في الجبل الأخضر التي استمرت حتى قضي على عمر

المختار وإعدامه يوم 1930/9/16ف، وخلال سنوات المقاومة قامت إيطاليا بفصل الأهالي وترحيلهم إلى المعتقلات في العقيلة والبريقة والمقرون وسلوق بهدف قطع الإمدادات المختلفة عن المجاهدين [7].

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا أُقيمت هذه المعتقلات الجماعية؟

لقد أرادت إيطاليا القضاء على حركة المقاومة بحرمانها من الشباب القادرين على الجهاد، وعدم وصول المساعدات المختلفة إلى المجاهدين والتكتم على انتصاراتهم [8].

وهكذا يتَّضح خطر هذه المعتقلات على حركة المقاومة وعلى المعتقلين أنفسهم، ويقول غرتسياني في كلمة بمعتقل البريقة يخاطب المعتقلين (ما أنتم إلَّا مثل سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار حتى تصبح رمادا، وها أنا أولع السيجارة من جانبي ويوقدها عمر المختار من الجنب الآخر) [9]. وبذلك يتهم عمر المختار بأنَّه هو السبب في هذه المعتقلات وهو خارج عن القانون.

أسباب إقامة المعتقلات:

بعد فشل إيطاليا وهزيمتها في كثير من المعارك، حيث بلغت خسائر هذه الحرب أكثر من 80 مليون جنيه بالإضافة إلى أعداد القتلى والجرحى بمختلف المعارك. [10] ولجأت إلى سياسة التعذيب والإعدام بدون محاكمة، وكذلك نفي العديد من الليبيين المشتبه في قيامهم بمساعدة المجاهدين إلى غير ذلك من الإجراءات القمعية التي لم تجد نفعًا، ولذلك لجأت إيطاليا إلى تطبيق سياسةٍ جديدةٍ وهي إقامة المعتقلات من أجل سجن هذا الشعب ومراقبة تحركاته وأهم أسباب إقامة المعتقلات ما يأتي:

1 ـ القضاء على المقاومة لفصل المجاهدين على الأهالي.

2 ـ تحقيق حلمها في احتلال ليبيا ثم نهب خيراتها المختلفة.

3 ـ عدم وصول السلاح أو الذخيرة أو التموين إلى حركة المقاومة.

4 ـ تهدف المعتقلات لمنع تسرب أخبار انتصارات المجاهدين حرصًا على معنويات جنود الطليان [11].

5 ـ قتل الليبيين بطريقة بطيئة عن طريق الجوع والمرض والتعذيب.

6 ـ سجن أهالي المجاهدين والضغط عليهم من أجل إنهاء المقاومة.

7 ـ قطع الأخبار عن المجاهدين وعدم معرفة تحركات العدو.

8 ـ الدعاية داخل المعتقلات أنَّ سبب إقامة هذه المعتقلات هم المجاهدون، وأنَّ زعماء المقاومة هم متمردون ضد الحكومة الإيطالية [12].

9 ـ تطبيق سياسة الإعدام والتعذيب بهدف نشر الخوف والرعب داخل وخارج المعتقلات لإضعاف معنويات المجاهدين.
10. الخسائر الاقتصادية الكبيرة المتمثلة في إبعاد الأهالي عن مزارعهم وحيواناتهم.
11- نشر الثقافة واللغة الإيطالية داخل المعتقلات لهدف إبعادهم عن دينهم ولغتهم وهويتهم.

أهـــــــم المعتقلات:

1 ـ معتقل العقيـــلة : تقع العقيلة على شاطئ خليج ســـــــرت وإلى الغرب من البريقة، وتبعد عن بنغازي حوالي 285 كم^2 [13]، والعقيلة عبارة عن منطقة صحراوية خالية وجرداء تحرق رمالها الأرجل ويلفح حرَّها الوجوه ، وأقيم فيها المعتقل عام 1930م على شكل مربع من الأسلاك الشائكة طوله 4 كم^2 وارتفاعه 3 أمتار وله بابان وفي منتصف المعتقل أقيم برج شاهق به مصابيح كاشفة لمراقبة السجناء ليلًا ونهارًا وبجانبه أعواد المشانق والعلم الإيطالي مثلث الألوان[14]، خارج الأسلاك توجد الدوريات المتحركة، وداخل المعتقل أقيمت البيوت المصنوعة من الشعر بجوار بعضها ولا توجد بها سبل الحياة البسيطة، وعليها رئيس (كابو) وله مساعد (بريقادير)، وله مطلق الحرية في الجلد بالسوط والتعذيب المستمر، وكانتِ العائلات تُجبر إلى الحضور للميدان لمشاهدة الجلد[15]، وأسندت إدارة معتقل العقيلة إلى ضابط برتبة تانينتي ملازم أول يسمى كوسوني، وهو مثل للوحشية والظلم والطغيان[16]، وكانت تحت قيادة هذا الضابط عدد من القوات تقوم بحفظ النظام والإرهاب الداخلي وتقوم دوريات الحراسة بالقبض على الفارين ومراقبة المعتقل، ونُلاحظ أنَّ هذه القوة ليس لمواجهة المجاهدين بل ضد شعب أعزل جائع بين الأسلاك الشائكة، وفوق الرمال الحارقة وحطمت المعاملة القاسية معنوياته .

الأعمال اليومية داخل المعتقل : بعد المناداة بالأسماء كل يوم يكلف الشبان القادرون على العمل بالآتـــي:

1 – فريق منهم ينظفون المكاتب والمراحيض وإسطبلات الخيول، ونقل القمامة على ظهورهم خارج المعتقل.
2 – فريق آخر لتنظيف المعسكر وما يكلفون به من أعمال أخرى.
3 – فريق آخر لنقل التموين للجيش من الميناء على ظهورهم ونقل الحطب إلى المخازن.
4 – فريق آخر لإزالة أكوام الرمال من طرقات وممرات المعتقل [17].

ويقوم المسنون بنقل الأموات الذين لا يقلُّ عددهم عن 50 شخص يوميًا؛ بسبب سوء الحالة الصحية المُتعمدة بقصد القضاء على هذا الشعب.

ويصف لنا الشاعر رجب أبو حويش قسوة العمل في المعتقل فيقول:

نشيل في الوسخ والحطب والموية معيشة ذليلة
مغيث ربنا يفزع فيك الوصيلة [18]

التموين داخل المعتقل : لم يكن هناك تموين للمعتقلين في بداية الأمر حتى باع الناس كل ما يملكون، وعندما بدأ النساء والأطفال يموتون جوعاً قام الإيطاليون بتوزيع قدحين من الشعير في الأسبوع لكل معتقل، وهو لا يكفي لسدِّ جوعهم [19].

العقوبات: لقد قاسى أولئك المعتقلون الظروف غير الإنسانية، حيث أصبح الجوع والعطش والإهانة والجلد من علامات الحياة اليومية، وأهم تلك العقوبات:

1 – عقوبة الإعدام شنقًا لكل من يتعاون مع المجاهدين ويقدم لهم أية مساعدة.

2 – عقوبة الجلد لمَن لا يقف احترامًا للعلم الإيطالي، أو ينشـر دعاية ضد الإيطاليين.

3 – عقوبة الربط وتطبق على كل من يرفض الأوامر، حيث يربط على عمود في الميدان تحت الشمس ويحدد الحاكم العقوبة [20].

بالإضافة إلى المحاكم الطائرة التي تقوم بإصدار عقوبة الإعدام لزرع الخوف والرُّعب في نفوس الناس، وبالإضافة إلى انتشار الأمراض المختلفة وسوء الحالة الصحية وعمليات التعذيب التي سببت في موت حالات عديدة من المعتقلين ويعبر عن ذلك الشاعر عبد الله المهشهش فيقول:

ما بـي مـرض غير ضـــــرب الصبايـــا واجلودهـــــن عرايـــــا
أولا يقعدن يوم ساعة هنايـــا أولا يختشوا من بنات السمايا

وهكذا نرى كثيرًا من الصور المأساوية مثل رجل فقد أسرته، وبقي وحيدًا يشكو همومه وأحزانه والأطفال اليتامى بلا مأوى ولا عائل والرجال والنساء الذين أصيبوا بالجنون، وجاءت صور عمر المختار مكبلاً بالأغلال بعد أسره وعلق في ميدان المعتقل وأجبر الناس على مشاهدة هذه الصور، وإثر القبض على عمر المختار أعلنت حالة الطوارئ داخل المعتقل وتعرَّض المعتقلون إلى إجراءات تعسفية قاسية، وعمَّ الحزن على سكان المعتقل، وانتشر الجنود الإيطاليون المُدجّجـــون بالسلاح في طرقات المعسكر، ولم يسمح لأي شخص من المعتقلين أن يغادر خيمته لمدة ثلاثة أيام وإلاّ عرَّض نفسه

للرصاص؛ وبسبب تكدس الأوساخ والقاذورات انتشرتِ الأمراض التي تسبَّبت في موت أعدادٍ كبيرةٍ من المعتقلين، ولذلك نقل المعسكر إلى مكان آخر قريب من المعسكر الأول[21]، ويقدَّر عدد سكان معتقل العقيلة بحوالي 18 ألف شخص، وهلك منهم حوالي الثلثان (12 ألف شخص تقريبًا) خلال ثلاث سنوات وفي شهر ديسمبر وحده عام 1930، وصل عدد الوفيات ما بين (200- 205) شخص يوميًا، وهكذا اتضحت سياسة إيطاليا لإبادة أكبر عدد من الأهالي في أقصر مدة لتحقيق أهدافهم الاستيطانية، وتكون ليبيا حلقة وصل بين روما ومستعمراتها في الحبشة والصومال، وبعد إعدام عمر المختار أطلق سراح هؤلاء المعتقلين، وقد عبر الشاعر رجب أبو حويش عن حالة الناس في هذا المعتقل في قصيدة طويلة نذكر منها:

ما بي مرض غير دار العقيلة وحبس القبيلة أو بعد الجبا من بلاد الوصيلة
ما بي مرض غير فقد الرجال وأفنيت المال وحبست انساوينا والعيال

إلى آخر القصيدة حيث قال الشاعر إنَّه لا يشتكي من مرض عضوي، وأنَّه يشتكي من كثرة الأهوال والمصائب وحشرهم في معتقل ضيق في صحراء قاحلة بعيدة عن مسقط رأسهم، وما عانوه من ظلم واضطهاد بسبب أنَّهم دافعوا عن أرضهم ضد الاحتلال الإيطالي، وبعد مضي عدة أشهر استشهد المجاهد يوسف بو رحيل الذي خلف عمر المختار في قيادة المجاهدين، وبعده كلف المجاهد حسن أبو عزيزة، ولكنَّه لم يستمر طويلاً حيث أعلن استسلامه ورفاقه وكانوا سبعة مجاهدين فقط، وصدرت الأوامر في عام 1932 بالعمل على إطلاق معظم الأهالي بمعتقل العقيلة، ونقل بعضهم إلى معتقلات أخرى، وهذه صورة عن معتقل العقيلة وحياة الناس داخله[22] .

2 ـ معتقل البريـــقة : يقع معتقل البريقة على شاطئ خليج سرت بين مدينتي إجدابيا شرقًا والعقيلة غربًا وسط سبخات وكثبان رملية، وأقيم هذا المعتقل في الفترة من (1930-1934) وسط صحراء يمكن رؤية الأشخاص على مرمى البصر، ولذلك اختارها الإيطاليون كمكان استراتيجي لإقامة هذا المعتقل، حيث لا يستطيع أحد الهروب من هذا المعتقل أو الدخول إليه، ويضم هذا المعتقل سكان الجبل الأخضر بعد تجميعهم في منطقة عين الغزالة، ثم نقلهم إلى البريقة لمسافة 250 كم^2 وعند وصولهم جُلد كل رجل ثلاثين جلدة وكل امرأة وطفل خمس عشرة جلدة، والمعتقل يتكون من مربع من الأسلاك الشائكة طول ضلعه ثلاث كيلو مترات وارتفاع الأسلاك ثلاثة أمتار، بحيث

يصعب اجتيازه، وله ثلاثة أبواب وتولَّى قيادة المعتقل القائد باريلا ويُضرب به المثل في الوحشية والظلم وكان حاقداً على الشعب الليبي، وقد عبر بذلك في العديد من المناسبات والمثال على ذلك أثناء نقل الأهالي إلى معتقل البريقة قال (سيتم نقلكم إلى مكان لا حياة فيه ولا ماء تموتون فيه جميعاً على آخركم)[23] وقد وقع (باريلى) أسيرًا بأيدي المجاهدين وقد عاملوه معاملة حسنة، وقد سنحت له الفرصة وهرب من أيدي المجاهدين ولذلك عوقب من قبل إيطاليا بتجريده من رتبته العسكرية وكان يشغل رتبة (نقيب)، ولهذا زادت كراهيته لليبيين عامة والمجاهدين خاصة، وهنا نُوضِّح صورة كيفية معاملة هذا القائد الإيطالي بالإحسان من قبل المجاهدين عندما أسروه، وكيف عامل هو المعتقلين في البريقة بكل قسوة وشدة، وأثناء نقل المعتقلين لم يسمح لهم باصطحاب حيواناتهم معهم، حيث صودرت منهم، ولم يسمح لهم بمزاولة أي نشاط اقتصادي داخل المعتقل وأصبحوا يعانون من الفقر والجوع والمرض، وشدَّدت عليهم المراقبة وأرهقـــوا في الأشغال الشاقة طيلة اليوم، وأنَّ عدد المعتقلين في معتقل البريقة وصل إلى 72 ألف معتقل وداخل المعتقل قسم الأهالي حسب قبائلهم، حيث تستقر كل قبيلة في بيوت متقاربة من الشعر في خطوط مستقيمة [24].

وكان أول شهداء هذا المعتقل (عمر الحول القبائلي)، الذي حوكم أمام المحاكم الطائرة بتهمة تقديم المساعدات المالية للمجاهدين، وحُكم عليه بالإعدام، وعندما سألته المحكمة الإيطالية لماذا قدمت المساعدات المالية للمجاهدين؟ أجاب قائلًا (إن هذا العمل واجبٌ مقدسٌ لا جرم فيه ولا خيانة ، ولو أُطلق سراحي الآن لذهبت وحملت السلاح، ولا أكتفي بتقديم المال فقط). وصعد خشبة المشنقة بكل قوّة وافتخار مرفوع الرأس وهو يتلو قوله - تعالى -: **(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** [25]، وقد أجبر جميع من في المعتقل بالقوة على مشاهدة عملية الإعدام [26]، هذا أحد النماذج المشرفة من المجاهدين الذي لم يخضع للاستعمار الإيطالي ومات شهيدًا في سبيل الوطن.

العمل اليومي داخل المعتقل: يبدأ العمل اليومي بتحية العلم الإيطالي، وثم يقومون بالأعمال المعتادة كالنظافة وجمع الحطب وشق الطرقات وغيرها، وكان الإيطاليون يمارسون أشد أنواع الظلم والعربدة ضد المعتقلين ومَن يعصي الأوامر يتعرض لأشد أنواع الضرب والتعذيب وتتمثل العقوبات بالشنق والجلد والربط على الأعمدة والتعريض لأشعة الشمس والشتم والسب وغيرها، هذه بعض الصور القاتمة التي كان يعانيها أهلنا في تلك المعتقلات ويصف لنا الشاعر فرج صالح الشلوي تلك المعاناة في قصيدة طويلة مطلعها

أيام البريقة ما هي اللي امغينة السوط والشبردق وذل الأحرار

والمعنى أنَّ أيام معتقل البريقة كلَّها كانت أيام مُؤلمة استعمل فيها الإيطاليون السوط لتعذيب المعتقلين داخل هذه الأسلاك الشائكة وذل وهوان للأحرار الشرفاء، وكم من الرجال والنساء والأطفال راحوا ضحية ذلك الاستعمار الغاشم الذي جاء لاحتلال بلادنا، واستعملت أشد الإجراءات ضد المعتقلين خوفًا من هروبهم ومثلاً كانتِ الحراسة الليلية مُشدَّدة ويقوم الجنود بحراسة طرقات المعتقل، وكل واحد منهم يحمل مصباحًا ويدخلون الخيام ويقومون بركل النائمين وعدهم، والموت أو الجلد للذي لا يكون موجودًا في مكانه، وكان المجون والسكر والعربدة من صفات جنود الإيطاليين التي تنعكس على المعتقلين، ولم توجد رعاية صحية، حيث انتشرتِ الروائح الكريهة وانتشرتِ الأمراض وسوء التغذية، ممَّا تسبب في موت أعداد كبيرة من المعتقلين، وقد عبَّر عن هذه المعاناة الأوروبيون أنفسهم حيث كتب الكاتب (استير جوز) في جريدة (تربينو الإنجليزية) الصادرة في 1980/4/18م، حيث قال (إنَّ الاحتلال الإيطالي لليبيا يُعدُّ من الأحداث المقرفة في القرن العشرين وتجربة لا تنسى بالنسبة لليبيين مثل المجزرة النازية لليهود)[27] .

وفي منتصف شهر فبراير 1932 جاء الإفراج على المعتقلين السجناء، تمَّ نقل المرضى والعجز عن طريق البحر ورجع الباقي برًا سيرًا على الأقدام إلى مقر سكناهم.

3 ـ معتقل المقرون: نقلت قبائل البراعصة والدرسة والعوامة والمسامير والقطعان وغيرهـــم إلى منطقة طلميثة عام 1929م ، ونُفذ حكم الإعـــدام في المناضل سليمان سعيد العرفي شيخ قبيلة الطرش ؛ لأنَّه يقوم بإعطاء معلومات عن تحركات العدو للمجاهدين وهذا له فائدة كبيرة للمجاهدين، وتُعدُّه إيطاليا خيانة يجب تنفيذ حكم الإعدام في من يرتكبها، نقل الأهالي إلى معتقل المقرون وهو يقع إلى الجنوب الغربي من سلوق والشمال الشرقي من البريقة، ومساحته 6 كم^2 وكان المعتقل على شكل مربع تحيط به الأسلاك الشائكة من كل جانب ويبلغ ارتفاعها حوالي مترين وطوله 3 كم^2 ويتولى إدارة معتقل المقرون المريشال ألودوفجنيري، ثم تولى بعده الكورنيـــل ((أبروكو) ، وقسم المعتقل إلى أربعة أقسام، وطبق نفس البرنامج اليومي مثل الوقوف لتحية العلم الإيطالي والقيام بمختلف الأعمال بالإضافة إلى تطبيق مختلف أنواع العقوبات، وكان المجاهدون يعانون من نقص الطعام/ حيث قال مراسل أحد الصحف الألمانية أمَّا غذاء هؤلاء المساكين فالأحسن ألا نتكلم عنه وهو عبارة عن ⅛ كيلة من الشعير الأسود الذي

سبَّب الكثير من الأمراض للكثير من المعتقلين[28]. ويقدر عدد المعتقلين بين (13000-14000) معتقل وعدد الخيام التي يقطنون فيها بحوالي ألفين وثمانمائة وإحدى وستون خيمة[29]، واستمر المعتقل من (1929-1934) وللمعتقل أربعة بوابات يحرسها الجنود وتوَّلى قيادة المعتقل المارشال ألودوفجنيري، ثم جاء بعده الكورنيل (أبروكو) ، ثم جاء بعده المدعو (مادونيني) ، وهم يتصفون بالغطرسة والقسوة ويضرب بهم المثل في العنف وعدم الرحمة ضد البؤساء في المعتقل[30]، بالإضافة إلى سوء التغذية الذي تسبب في كثير من الأمراض، وكذلك المياه الملوثة [31]، بالإضافة إلى تعرض الأهالي لسوء المعاملة من قبل الإيطاليين فهم يتعرضون للضرب والشتم والسخرية وغير ذلك من الإهانات اليومية، وقد اشتغل المعتقلون في تنفيذ الطرق ونقل الحجارة، وتقوم النساء بجمع الأوساخ التي انتشرت في المعتقل وانتشر معها المرض وكثرت الوفيات وقد وصلت نسبة الوفيات عند الأطفال إلى 90%، وموت معظم كبار السن وغيرهم، وقد فرضت اللغة الإيطالية بهدف إبعاد الأهالي عن دينهم الإسلامي وهويتهم العربية، وكانت سياسة الإيطاليين هي إبادة الشعب الليبي الذي لا يلين للاستعمار، وقد زار ملك إيطاليا سنة 1933 رفقة وزير المستعمرات ليبيا وزار معتقل المقرون واطلع على حالة المعتقلين الصعبة وعدد الوفيات الكبير، ومن خلال السجلات مات حوالي تسعة آلاف شخص بسبب تلك الظروف السيئة حتى تاريخ الزيارة[32]، ورُغم ذلك لم يتخذ الملك أي إجراء لصالح المعتقلين أو التخفيف عليهم ولم يطلق سراحهم إلَّا بعد حوالي سنة من ذلك التاريخ، وتعدَّدت عمليات الإعدام وعلى سبيل المثال إعدام المجاهد سليمان سعيد شيخ قبيلة الطرشان، ويقول غرتسياني :" إنَّ سليمان سعيد شيخ قبيلة الطرشان كان عضوًا في مجلس النواب، وكان يستغل نفوذه ويتعاون مع المجاهدين على حساب ثقتنا فيه، وقد حكم عليه بالإعدام في معتقل المقرون، وأنَّ هذا المجاهد قال قبل إعدامه يا إخواني لا تثقوا في العدو وإنه جاء للقضاء عليكم" .[33]

معتقل سلوق: يُعدُّ هذا المعتقل من ضمن المعتقلات الجماعية بقرية سلوق التي تقع إلى الجنوب من بنغازي بحوالي 60 كم^2 وهي المنطقة التي شهدت إعدام عمر المختار، والمعتقل مُحاط بالأسلاك الشائكة التي يزيد ارتفاعها عن مترين وعرضها ثلاثة أمتار، وبه ثلاث بوابات وتبلغ مساحة هذا المعتقل حوالي 8كم وإجمالي عدد المعتقلين فيه يزيد عن 36 ألف، ويسكنون في خيام بمعدل سبعة أشخاص في الخيمة الواحدة وعدد الخيام حوالي 5062 خيمة.

وأقيمت فيه نفس الأعمال اليومية في باقي المعتقلات، وطبقت فيه نفس العقوبات، وقد وصف المعتقلون حالتهم في معتقل سلوق أنهم تمنوا الموت ولا العيش في المعتقلات، وقد وصف بعض الشعراء حالة المعتقلين في معتقل سلوق، وكيف أنَّهم فقدوا حيواناتهم وممتلكاتهم وأصبحوا يعيشون في فقر وحاجة، وهذا الشاعر هو جلغاف بوشعراية يصف تلك الذكريات فقال :

محابيس في نقطة سلوق ابقينا لا نعجـــة ولا ناقـة تحـــوش علينا
في نقطـة سلـوق قعدنـا بالفاس نخدموا والدهر ما ساعدنا
في نقطة سلـــوق فـارا بالفاس نخدموا من غير وخذ أجارا [34]

وتميز هذا المعتقل بمساحته الكبيرة وكثرة عدد المعتقلين فيه، وشهد أيضًا جريمة إعدام شيخ المجاهدين عمر المختار بالقرب من سياج المعتقل أمام 20 ألف من المعتقلين الذين بقوا على قيد الحياة حتى 1931/9/16م، وأجبروا بالقوة على مشاهدة عملية الإعدام وضرب كل من يحزن أو يبكي على موت عمر المختار، ويقدر عدد الوفيات في اليوم الواحد ما بين (15–20) شخصًا[35]، وتولى قيادة المعتقل المدعو(كينتي)، ثم جاء بعده المدعو(ميليو)، ثم المدعو (فرانكا)، وقد مارسوا شتى أنواع التعذيب والإهانات ضد المتعقلين وانتشرت المجاعة والأوبئة، وسخر المعتقلين لإنشاء مشاريع الاستيطان الإيطالي في ليبيا مثل شق و تعبيد الطرق والعمل في المزارع وغير ذلك، وكان المعتقلون يتمنون الموت ويحسدون الميت على موته، ومات معظم سكان المعتقل وأطلق سراح ما بقي على قيد الحياة عام 1932م.

آثار المعتقلات على المجتمع الليبي: وهكذا انتهت تلك المعتقلات الجماعية في العقيلة والمقرون وسلوق والبريقة التي كانت غاية في القسوة والشدة عاش فيها المعتقلون حياة الفقر والعوز والجوع والألم والمرض، وأكثر من ذلك مرارة الذل والهوان فكانت بحق كما وصفت معسكرات إبادة جماعية، فعلى سبيل المثال شمل معتقل المقرون 18ألف نسمة عام 1930 م عاد منهم عام 1933(8400) شخصًا فقط، كما شمل معتقل البريقة 36000 نسمة رجع منهم الثلث نصف أحياء وفي معتقل سلوق 36000 لم يرجع منهم إلا 13000، بالإضافـــة إلى معتقل العقيلة الذي مات معظم المعتقلين فيه لأنه معتقل العقوبات [36].

وكان الاستعمار الإيطالي يهدف إلى القضاء على السكان الأصليين، ولو تطلَّب الأمر إبادتهم جميعًا واستبدالهم بمستوطنين إيطاليين، وأنَّ الهدف الرئيسي من هذه المعتقلات

هو قطع الصلة بين المجاهدين والأهالي لمنع وصول السلاح والمال والتموين بهدف القضاء على حركة المقاومة، وقد طبَّق الاستعمار الإيطالي أقصى أنواع الظلم وأشد العقوبات على هؤلاء المعتقلين العزل من السلاح الأقوياء بالإيمان، وكذلك عدم وجود رعاية صحية داخل تلك المعتقلات، حيث انتشرت مختلف الأمراض مثل السل والشلل وفقدان البصر وغيرها التي ما زال يعاني منها المجتمع الليبي حتى الآن، وتسبَّبت تلك الإجراءات في موت كثير من المعتقلين، حيث كان عدد المعتقلين في تلك المعتقلات حوالي 126 ألفًا تقريبًا مات أكثر من نصفهم داخل تلك المعتقلات، وأدَّى موت هذه الأعداد الكبيرة إلى نقص كبير في عدد سكان ليبيا مازالت آثاره حتى اليوم، وأثر على تقدم البلاد في مختلف المجالات كالصناعة والتجارة وغيرهم، بالإضافة إلى انتشار الجهل والأمية، ممَّا تسبب في تأخر المجتمع الليبي عن ركب الحضارة لسنوات طويلة، وبالإضافة إلى أعداد الوفيات داخل المعتقلات قتل الآلاف من الليبيين في معارك الجهاد، ونفي الكثير منهم إلى مختلف المناطق وهاجر البعض خارج أرض الوطن إلى المناطق المجاورة؛ بسبب سياسة الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وقد عبَّر عن ذلك أمين الجامعة العربية عبد الرحمن عزام فقال: (يبحثون عمَّا فعل الإسبان بالمسلمين وأمامهم طرابلس الغرب، فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم الجرائم التي لا تقلُّ عن جرائمهم في الأندلس).

وشملتِ الأضرار كذلك مختلف نواحي البلاد الاقتصادية والاجتماعية، مثل: إتلاف المحاصيل الزراعية أثناء عملية الحصاد والقضاء على قطعان الماشية، وتدمير المدن والمساجد، وقطع الأشجار المثمرة، وقتل الأبرياء وإبادة السكان، وغير ذلك من الأعمال التي يحركها الحقد الصليبي ضد المسلمين، ويمكن تلخيص أهم آثار المتعقلات في المجتمع الليبي فيما يأتي:

1 ـ فقدان المجاهدين المساعدات المادية والمعنوية التي كان يقدَّمها لهم الأهالي قبل تطبيق سياسة المعتقلات.

2 ـ بعد إقامة المعتقلات ضعفت حركة المقاومة وتمكن الإيطاليون من احتلال العديد من المدن، مثل: الكفرة وغيرها [37].

3 ـ سببت المعتقلات في نقص عدد السكان في ليبيا.

4 ـ تسببت المعتقلات بأضرار كبيرة بالاقتصاد الليبي حيث ترك الفلاحين أرضهم وحيواناتهم، ووضعت إيطاليا يدها على تلك الأراضي في برقة وطرابلس واستخدموا الليبيين كعمال فيها[38].

5 ـ انتشار الأمراض والأوبئة التي فتكت بالمعتقلين.

6 ـ عملت إيطاليا على نشر الثقافة واللغة الإيطالية في تلك المعتقلات.
7 ـ كانت تلك المعتقلات كرد فعل من إيطاليا؛ بسبب خسارتها في كثير من المعارك للانتقام من هذا الشعب.
8 ـ ضعف حركة الجهاد بسبب تلك المعتقلات.
9 ـ هجرت كثير من الليبيين إلى المناطق المجاورة بسبب سياسة القمع الإيطالي.
10- من أهداف المعتقلات منع وصول أخبار انتصارات المجاهدين، وعدم ارتفاع الروح المعنوية عند الأهالي .

الخاتمـــة :

حاولنا أن نلقي الضوء في هذا البحث على تلك المعتقلات وما ترتَّب عليها من آثار قريبة وبعيدة المدى من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية على هذا المجتمع، وبسبب شدة المقاومة على التراب الليبي وهزيمة الإيطاليين في معظم المعارك، حيث إنَّه خلال العشر السنوات الأولى لم يستطع الإيطاليون إلَّا احتلال بعض النقاط الساحلية الصغيرة، ولذلك قاموا بتطبيق سياسة المعتقلات لسجن الشعب الليبي تحت ظروف غاية في القسوة والشدة، من أجل القضاء عليه واحتلال أرضه وأخذ خيراته، وقد عاش المعتقلون حياة صعبة، حيث عانوا من الجوع والمرض والإهانات المختلفة ولم تنتهِ هذه المعتقلات باستشهاد شيخ الشهداء عمر المختار عام 1932م، ولكنها استمرت حتى عام 1936 عندما تغيرت الأمور، حيث هزمت إيطاليا في الحبشة وبدأت تتبع سياسة التقرب إلى الأهالي وإنهاء تلك المعتقلات.

أهم النتائج التي تسببت فيها تلك المعتقلات:

1 ـ موت أكثر من 100 ألف نسمة في تلك المعتقلات.
2 ـ موت تلك الأعداد الكبيرة داخل وخارج المعتقلات، تسبب في نقص الشعب الليبي إلى النصف.
3 ـ سوء الحالة الاقتصادية بسبب ترك الفلاحين أرضهم وفقدان المربين حيواناتهم والقضاء على بعض الصناعات التي كانت موجودة.
4 ـ الآثار الجسمية والنفسية السيئة التي لحقت بالمعتقلين بسبب عمليات التعذيب.
5 ـ يوصي الباحث بتتبع هذا الموضوع من قبل باحثين آخرين حتى نلقي الضوء على تلك الصفحات المُؤلمة من تاريخنا التي لم تحظ بالدراسة الكافية.

الهوامش :

1 - انزو سانتاريللي، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة عبد الرحمن سالم العجيلي، منشورات مركز جهاد الليبيين 1989ف، ص86.
2 - نفس المرجع السابق، ص95.
3 - حبيب اوداعة الحسناوي، منشورات كانفيا، مجلة الشهيد العدد 4، 1983ف، ص55.
4 - خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911 – 1930ف، الدار العربية للكتاب 1983ف، ص25.
5 - سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتب النهضة، القاهرة، 1968، ص9.
6 - خليفة محمد التليسي ما بعد القرضابية، ط2 طرابلس دار الكتاب العربي،1978ف، ص175.
7 - يوسف سالم البرغتي، حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر 1927-1930ف، منشورات مركز جهاد الليبيين ،1984ف ، ص99.
8 - سعد محمد أبو شعالة من داخل المعتقلات، دراسة تاريخية تحليلية المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، ليبيا، ص20.
9 - نفس المصدر السابق، ص25.
10 - أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ العرب الحديث، القاهرة،1956، مكتبة النهضة، ص111.
11 - خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، ص110.
12 - محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، ص124.
13 - يوسف البرغتي، المعتقلات الفاشية بليبيا ص: 100.
14 - امهيدي عبد الكريم الحاسي راوي عن معتقل العقيلة نقلاً عن سعد أبو شعالة من داخل المعتقلات، ص: 27.
15 - إبراهيم العربي الغماري، ذكريات معتقل العقيلة، ص: 99.
16 - محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، ط 1 القاهرة 1957 م، ص: 128.
17 - أبوبكر محمد الطرشي، راوي عن معتقل العقيلة نقلاً عن سعد أبو شعالة، ص: 29 – 30.
18 - رجب ابحويش شاعر شعبي من معتقل العقيلة نقلاً عن سعد أبوشعالة، ص
19 - سعد أبو شعالة ، ذكريات معتقل العقيلة، ص : 100 .
20 - أبوبكر محمد الطرشي، راوي عن معتقل العقيلة نقلًا عن سعد أبو شعالة، ص: 39 .
21 - يوسف سالم البرغتي، المعتقلات الفاشية في ليبيا، ص104.
22 - إبراهيم العربي الغمازي، ذكريات معتقل العقيلة، ص124.
23 - يوسف سالم البرغتي، المعتقلات الفاشية في ليبيا، ص90.
24 - سعد محمد أبوشعالة من داخل المعتقلات، ص75.
25 ـ سورة البقرة، الآية 156.
26 سعد محمد أبو شعالة من داخل المعتقلات، ص77.
27 - نفس المرج السابق، ص83.
28 - يوسف سالم البرغتي، المعتقلات الفاشية في ليبيا، ص111.
29 - محمود علي التائب، معسكرات الاعتقال الإيطالية، مجلة الشورى السنة السادسة، العدد العاشر، أكتوبر 1979، ص78.
30 - يوسف سالم البرغتي، المعتقلات الفاشية في ليبيا، ص110.
31 - محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، 1951، ص136.

32 - يوسف سالم البرغتي، من إعلام ليبيا، 88.
33 - أودلفو غرتسياني، برقة الهادئة، ترجمة سالم بن عامر، ص154.
34 - يوسف سالم البرغتي، المعتقلات الفاشية في ليبيا، ص121.
35 - غرتسياني، برقة الهادئة، ص95.
36 - رومين، عمر المختار وإعادة الاحتلال، ص155، كذلك بشير محمد رمضان، القيادة والإمداد في حركة الجهاد، ليبيا 1999، ص67.
37 - محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، ص129.
38 - عبدالعزيز طريح شرف، **جغرافيا ليبيا**، 1962**القاهرة**، ص631.